٤١٥

المنهج الجديد
في
تعليم الفلسفة

تأليف
الأستاذ محمد تقي مصباح اليزدي
ترجمة
محمد عبد المنعم الخاقاني

الجزء الأول

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

مصباح، محمد تقی، ۱۳۱۳ ش.
المنهج الجديد في تعليم الفلسفة / تأليف محمّدتقي مصباح اليزدي، ترجمة محمّد عبدالمنعم الخاقاني. ـ ـ مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، ١٤١٦ ق. = ١٣٧٤ ش.
ج ١. ـ ـ (مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، ٤١٥).
شابك (دوره) ٤ ـ ٢٦٤ ـ ٤٧٠ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨
ISBN 978 - 964 - 470 - 264 - 4
عربی.
فهرست‌نویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
ج ١ (چاپ هفتم: ١٤٣١ ق = ١٣٨٨ ش).
کتابنامه.
١. فلسفه. الف. خاقانی، محمّد عبدالمنعم، مترجم. ب. جامعهٔ مدرّسین حوزهٔ علمیهٔ قم، دفتر انتشارات اسلامی. ج. عنوان.
٦١٨م ٢٢ف / BP ٩٩ ١٠٠
١٣٧٤
کتابخانهٔ ملّی ایران ٣٧٩٩ ـ ٦٨م

المنهج الجديد في تعليم الفلسفة

(ج ١)

■ تأليف: الأُستاذ الشيخ محمّدتقي المصباح اليزدي □
■ ترجمة: فضيلة الشيخ محمّد عبدالمنعم الخاقاني □
■ الموضوع: الفلسفة □
■ طبع ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي □
■ عدد الصفحات: ٤٢٠ □
■ الطبعة: السابعة □
■ المطبوع: ١٠٠٠ نسخة □
■ التاريخ: ١٤٣١ هـ. ق □
■ شابك ج ١: ٧ ـ ٥٢٦ ـ ٤٧٠ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨ □
ISBN 978 - 964 - 470 - 526 - 7

قم ـ شارع الأمين ـ ابتداء شارع الجمهورية الإسلامية ص . ب ٧٤٩ ـ ٣٧١٨٥
تلفون: ٢٩٣٣٢١٩ ـ ٢٩٣٢٢١٩ فاكس: ٢٩٣٣٥١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

لا شكّ أنّ علم الفلسفة هومن أهمّ العلوم بل من أُمّهاتها التى لابدّ من التعرّف عليه لكلّ طالب علم وصاحب فضيلة، لانّه يدرس حقيقة الأشياء و يبحث عن كنهها، ومن الجدير بالذكر أنّ هذا العلم مرّت عليه أدوار مختلفة الى زماننا هذا، فقد نال مكانته الخاصّة بحيث أصبحت دراسته من الأُمور الضرورية لأنّ الأفكار الفلسفيّة المتضادّة قد تداولت في المجتمع البشري حيث ادّعت بعضها انحصار الوجود في المادّة ولوازمها وأنكر البعض المفاهيم الأوّلية البديهية التى لا تخفىٰ علىٰ أحد كالترديد في الوجود، ومن هنا يتّضح ضرورة إرائة الأفكار الفلسفية الاسلامية للأجيال المتشوّقة لفهم الحقائق الفلسفية الالهية،ولأجل ذلك أُلّفت فيه الكتب المبسوطة والمفصّلة التي يتوقّف فهمها علىٰ الدراسة والدقّة والتأمّل، وهٰذا ليس في سعة كلّ أحد.

من أجل ذلك فقد قام العلّامة المحقّق الأُستاذ الشيخ محمّد تقي مصباح اليزدي بتأليف كتاب في هذا المجال باللغة الفارسية سمّاه (آموزش فلسفه) في جزءين و هو مشتمل علىٰ دروس متعدّدة لكى يسهل فهمها على

طلبة العلم سيّما المبتدئين منهم، و لأجل أن يكون هذا السفر القيّم اكثر استفادة لإخواننا طلبة العلم، فقد قام بترجمته الى العربية فضيلة الشيخ عبدالمنعم الخاقاني تحت عنوان «المنهج الجديد في تعليم الفلسفة» شاكرين مساعيه وخدمته الرائعة على ترجمته الممتازة البارعة.

وقد قامت هذه المؤسّسة ـ بحمدالله ـ بطبع ونشر الجزء الأوّل من الكتاب القيّم سائلةً المولى جلّ شأنه أن يوفّقها لطبع الجزء الثاني منه ونشره في الأوساط العلميّة، كما و تسأله عزّوجل أن يوفّق المؤلّف المحقّق لخدمة العلم والدين، إنه حسبنا ومنه نستمدّ العون.

مؤسّسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرّسين بـ «قم المشرفة»

الأول من ربيع الثاني ١٤٠٧

الحمدلله ربّ العالمين، وصلّىٰ الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين.

منذسنين طويلة وأنا أتعذّب من وضع المناهج الدراسيّة في الحوزات العلمية ومن النقص في الموادّ والكتب الدراسيّة ومن الطرق المبعثرة في التدريس، ولاسيّما في مجال الفلسفة، وكنت أتمنّىٰ أن تتهيّأ الظروف لتخطيط جديد يضفي النظام علىٰ هذه الأوضاع. ولكن تحقيق هذه الأُمنيّة كان يبدو بعيداً وعسيراً بسبب الظروف العصيبة في زمان الطاغوت والضغوط التي كان يفرضها علىٰ علماء الدين بشكل خاصّ والمحدوديّات التي كان يوجدها للحوزات العلميّة. وكلُّ ماستطعنا إنجازه في تلك المرحلة هو تأسيس قسم التعليم في مؤسّسة «في طريق الحقّ». و وضعنا ـ بإمكانيّاتنا المحدودة جدّاً ـ منهجاً متوسّط الأمد لتكميل دروس بعض الفضلاء من شباب الحوزة، وهو منهج يتضمّن بعض المواضيع من قبيل: التفسير الموضوعيّ للقرآن الكريم، الفلسفة المقارنة، الاقتصاد الاسلاميّ، اللغة الأجنبيّة، وغيرها. واستمرّ هذا حتّى منّ الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ الشعب الإيرانيّ المسلم فانتصرت ثورته ونضاله بقيادة الإمام الخمينيّ ـ مدّ ظلّه العالي ـ وتهاوىٰ النظام البهلويّ اللاإسلاميّ، فتوفّرت ظروف مناسبة لنشاطات بنّاءة وتكامليّة.

وبعد انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران نشطت القوىٰ المتحرّرة من قيود الاستعمار والاستبداد، وعادت تتعرّف علىٰ النقائص وتُحاول سدّها، ومن جملتها مجموعة علماء الدين التي كانت لها حصّة الأسد في هذه الثورة الثقافيّة والسياسيّة، فإنّها- بعد عشرات السنين من الحيلولة دون قيامها بدورها الخطير- وجدت الأرضيّةَ المناسبة لمضاعَفة جهودها للتعرّف علىٰ حقائق الإسلام بشكل أفضلَ ثمّ نقلها للآخرين،والدفاع عن مواقف الإسلام النظريّة والعمليّة.

ولكن الدسائس والمؤامرات التي كانت تُحاك من قبل أعداء الإسلام وتُنفَّذ بوساطة بعض الأحزاب والفئات السياسيّة الداخليّة لم تُعطِ الفرصةَ لجميع علماء الدين الأكفاء ليتفرّغوا لأداء مهامّهم الأساسيّة، وإنّما الظروف الخاصّة لفترة مابعد الثورة كانت تفرض مشاركةَ هؤلاء في أجهزة التقنين والقضاء وحتّىٰ في الجهاز التنفيذيّ لئلّا تتكرّر قصّة «المشروطة» مرّة أُخرىٰ فتنحرف الثورة عن مسيرتها الإسلاميّة. وبالتالي فإنّه مكان استثمار هذه القوىٰ في سدّ النقص في الحوزات وتوسيع إمكانيّات تحصيل العلوم الدينيّة فقد دُفع قسم كبير من تلك القوىٰ المنتجة نحو المؤسّسات الأُخرىٰ، فتضاعفت أعباء الآخرين و تراكمت عليهم الواجبات، لا سيّما إذا أخذنا بعين الاعتبار سيلَ الطلبات من قبل الشباب الملتزم لتمثل العلوم الإسلاميّة، ومن جملتها الفلسفة الإسلاميّة، وقد كان لإرشادات قائد الثورة العظيم دورٌ مهمٌّ في هذا المضمار.

وبهذا فقد اتّضحت الضرورة لتنفيذ برامج قصيرة الأمد لتربية الشباب وإعدادهم لتحمّل مسؤوليّات الإرشاد والتبليغ والتثقيف في المستويات المتوسّطة، ومن هنا فقد أُعيد النظر في المنهج التربويّ للمؤسّسة وأُسّست صفوف جديدة ببرامج مضغوطة. ومن جملة ماتمّ تدريسه مختاراتٌ من مسائل الفلسفة الإسلاميّة بأُسلوب حديث، وقد نهض بعض الطلّاب بكتابة هذه

البحوث من الأشرطة المسجّلة ثمّ تكثيرها.

ثمّ صادفتْ تنظيماً جديداً باقتراح من منظّمة الإعلام الإسلاميّ وبجهود مجموعة من طلّاب المؤسّسة،فأُعيد النظر فيها وأُكملت بعض نقائصها فظهرت بصورة كتاب هوالّذي بين أيديكم الآن أعزّاءنا القرّاء. نأمل أن يكون خطوة مؤثّرة في سبيل رفع النقائص الموجودة، وأن ينال عناية وليّ العصر عجّل الله فرجه الشريف.

الوضع السابق الذي كان عليه تعليم الفلسفة:

كان للفلسفة- من بين دروس الحوزات- وضعٌ خاصّ واستثنائيٌّ، وكان تبدو فيها نقائص أكثر، ومن أهمّها ما يأتي:

١ - نتيجةً للتصوّر الخاطئ الذي كان للفلسفة فقد وُضعت علىٰ هذا الدرس علامةُ استفهام في بعض الحوزات، ولم تكن ضرورته غير واضحة فحسب و إنما كان رجحانه أيضاً مورد الشكّ والترديد.

ولكن هذا الوضع كان قد تغيّر في الحوزة العلميّة في قم بفضل الجهود المباركة لأشخاص ممتازين من قبيل الإمام القائد- مدّ ظلّه العالي-والمرحوم الأُستاذ العلاّمة الطباطبائيّ- رضوان الله عليه- ولم يلاحظ هنا إلاّ القليل ممّن استبدت به هذه الوساوس، ولكنّنا نلاحظ أنّه لحدّ الآن يُتعامل مع الفلسفة بحذر واحتياط.

٢- ومن ناحية أُخرىٰ فقد ابتُلي بعض المتحمّسين للفلسفة- الّذين وجدوا أنفسهم في موقف الدفاع أمام المخالفين- بحالة من الجزم والتعصّب بالنسبة لمحتويات الكتب الفلسفيّة، وكأنّهم مكلّفون بتبرير جميع آراء الفلاسفة، وكانت هذه الحالة بالنسبة لآراء صدرالمتألّهين- الذي يعدّ ناسخ آراء الفلاسفة جميعاً-

تتميّز بشدّة أكبر وحدّة أكثر، وكانت الأوضاع تنذر بأن الفلسفة ستتحوّل إلىٰ علم نصف تقليديّ برئ من روح النقد الذي يُعدّ عاملاً لتقدّم العلوم وازدهارها.

٣ ـ انّ الهدف من تعلّم الفلسفة لم تتعرّض له الكتبُ الدراسيّةُ بصورة كاملة، ولم يُبيّن للطلّاب أثناء تلقّي الدرس، ولهذا يلاحظ وجود طلّاب ينفقون سنين طويلة من أعمارهم في دراسة هذه الكتب ولكنّهم لايفهمون بوضوح **ضرورة تعلّم الفلسفة، وأيّ فراغ يملؤه تعلّمها، ولسدّ أيّ حاجة يمكن استغلالها.**

وكثير منهم كان ينصرف لتعلّم الفلسفة تقليداً لبعض الشخصيّات المهمّة، ولمّا كان هؤلاء قد قاموا بهذا الشئ فإنّهم أيضاً يقتفون آثارهم، ومن المعلوم عندئذٍ أنّ الدراسة بهذا الشكل إلى أيّ مدىٰ تُحقّق نجاحاً.

٤ ـ انّ تناول المسائل وتنظيمها لم يكن بشكل يفهم منه الطالبُ الدافعَ لإثارتها، وماهو الارتباط الموجود بينها، أو أنّ قراءة جانب من الكتاب لاتحيي في النفس الرغبة لإتمامه.

٥ ـ انّ الكتب الفلسفيّة غاصّة بالمصطلحات المعقّدة التي لايتيسّر **فهمها** إلاّ بعد سنين من الممارسة واستفراغ الجهد، وأغلب الطلّاب في السنين الأُولىٰ لايدركون مغزىٰ الكلام.

٦ ـ هذه الكتب لا تهتمّ بطبيعة الحال بالمسائل الدائرة في المحافل الغربيّة فضلاً عن الجواب على الشبهات الحديثة التي تثيرها المذاهب الملحدة في العصر الراهن.

خصائص هذا الكتاب:

بالالتفات إلىٰ النقائص المذكورة آنفاً فقد سعينا جهدنا في هذا الكتاب أن نتدارك تلك النقائص مهتمّين ببعض الجوانب المفيدة، وأهمُّها مايأتي:

١ـ إشارة سريعة إلىٰ مسيرة التفكير الفلسفيّ ومذاهبها المختلفة حتىٰ يلمّ

الطالب إلىٰ حدّ ما بوضع الفلسفة في العالم منذ ظهورها و حتّىٰ الآن، فيوقظ ذلك في نفسه حبَّ دراسة تاريخ الفلسفة.

٢ ـ تقييم المنزلة الكاذبة التي تحتلّها العلوم التجريبيّة في الغرب ولدىٰ المثقّفين الشرقيّين الذين سيطرالغرب علىٰ عقولهم، وقد رُسّخت مكانة الفلسفة الواقعيّة في مقابل أُولئك.

٣ ـ لقد دُرست علاقة الفلسفة بسائر العلوم والمعارف، وقد تمّ إثبات حاجتها إلىٰ الفلسفة.

٤ ـ لقد أوضحنا فيه ضرورة تعلّم الفلسفة، وذكرنا الشبهاتِ المطروحةَ حول هذا الموضوع مقرونةً بالجواب عليها.

٥ ـ قبل تناول مسائل معرفة الوجود استعرضنا مباحثَ علم المعرفة، وهي مقدّمة بشكل منطقيّ ومورد اهتمام واسع النطاق في العالم المعاصر.

٦ ـ لقد بذلنا جهدنا حتّىٰ يكون تناولنا للمسائل بحيث يتّضح الدافعُ لتناولها وموارِدُ الاستفادة منها، وقد روعي في تنظيمها ـ علاوةً علىٰ العلاقة المنطقيّة فيما بينها ـ أنّها تثير شوق الطالب لدراسة المواضيع اللاحقة.

٧ ـ وحاولنا أيضاً بيانَ المواضيع بشكل لايقود الطّلاّب نحو التحجّر الفكريّ وإنّما بشكل يحيي فيهم روح النقد البنّاء.

٨ ـ لقد قُسمت المواضيع بصورة دروس منفصلة، ومادّةُ جلسةٍ واحدةٍ قد ضُمّنت في درس واحد.

٩ ـ إذا ذُكرتْ ملاحظةٌ مهمّةٌ في أحد الدروس فإنّها يؤكّد عليها في الدروس اللاحقة وقديتمّ تكرارها لكي تستقرّ في ذهن الطالب.

١٠ ـ في نهاية كلّ درس تُذكر خلاصةٌ له وأسئلةٌ تدور حول المواضيع الواردة فيه، ولذلك دورٌ مهمٌّ في التعلّم بشكل أفضل.

ومع هذا كلّه فإنّنا لانـدّعي أن هذا الكتاب يحوي كلّ ما يلزم من ملاحظات مفيدة وهو برئ من كلّ عيب ونقص، بل علىٰ العكس فنحن نعترف بوجود نقائصَ فيه من حيث المحتوىٰ والمضمون ومن حيث الشكل والقالب، ونحن نقدّمه فقط بعنوان أنّه خطوة أُولىٰ لرفع النقائص الموجودة للقيام بتحوّل جذريّ في مجال العلوم الإسلاميّة، وبالأخصّ الفلسفة، ونأمل أن تكون الخطوات اللاحقة التي يقدّمها العلماء الأكفاء أشدَّ ثباتاً وأكثرَ تكاملاً.

وفي الختام أجد من الواجب عليّ أن أُقدّم خالص شكري للطلاّب الأصدقاء الذين بذلوا جهودهم لإخراج هذا الكتاب ولمسؤولي منظّمة الإعلام الإسلاميّ الذين هيّأوا الفُرَصَ في هذا المجال.

وكذا لا بدّ لي من ذكر شهداء الثورة الإسلاميّة والتضرّع إلىٰ الله سبحانه أن يُفيض عليهم من واسع رحمته جزاءَ ماضحّوا بأرواحهم الطاهرة في سبيل إقامة النظام الإسلاميّ فوفّروا لنا إمكانيّة مثل هذا النشاطات الثقافيّه، و أيضاً شهداء ومجروحي هذه الحرب القائمة، والمقاتلين الأبطال الذين يحاربون من أجل المحافظة علىٰ منجزات الثورة والدفاع عن كيان الحكومة الإسلاميّة.

وأسأل الله القدير أن يعجّل بالنصر النهائيّ ويزيد في توفيق جميع العاملين للإسلام والمسلمين، وأن يمنّ بطول العمر علىٰ قائد الثورة العظيم، وأن يوفّقنا لشكر نعمة وجود هذا الرجل الفذّ وجميع النعم الإلهيّة ماديّةً أو معنويّةً، وأتمنّىٰ على الله جلّ وعلا أن يوفّق جميع المسلمين- ومن ضمنهم نحن- للقيام بواجباتهم علىٰ أفضل وجه، وأن يَعدّهم من جملة أنصار الإمام المهديّ أرواحنا فداه.

وآخر دعوانا أن الحمدلله ربّ العالمين.

مدينة قم - محمدتقي مصباح اليزدي

شهر رمضان المبارك / ١٤٠٤هـ ق

القسم الأوّل

بحوث تمهيديّة

الدرس الأوّل

نظرة نحو: مسيرة التفكير الفلسفيّ

منذ البداية وحتّى العصر الإسلاميّ

وهو يشمل:

- بداية التفكير الفلسفيّ.
- ظهور السوفسطائيّة ومذهب الشّك.
- مرحلة ازدهار الفلسفة.
- نهاية الفلسفة اليونانيّة.
- طلوع فجر الإسلام.
- نضج الفلسفة في العصر الإسلاميّ.

بسم الله الرحمن الرحيم

بداية التفكير الفلسفيّ:

إنّ تاريخ الفكر البشريّ بدء مع بداية الإنسان وهو في تقدّم حتّى نهاية التاريخ، فأينما حلّ الإنسان فإنّه كان يحمل معه التفكيرَ بعنوان أنّه ميزة لا تنفصل عنه، وكلّما وطئ الإنسان بقعةً فإنّه ترك فيها آثاراً لعقله وتفكيره.

وليس في أيدينا معلوماتٌ دقيقةٌ عن أفكار الإنسان غير المكتوبة، إلّا ما يحدسه علماء الآثار ممّا ظفروا به من المتحجّرات والبقايا المطمورة. أمّا الأفكار المكتوبة فهي متأخّرة عن هذه القافلة، ولم يتمّ ذلك إلّا بعد اختراع الخطّ.

ومن بين ألوان التفكير البشريّ ما يتعلّق بمعرفة الوجود وبدايته ونهايته، ففي المراحل الأُولىٰ كانت هذه الأفكار مقرونة بالعقائد الدينيّة، ومن هنا يمكن القول:

إنّ أقدم الأفكار الفلسفيّة لابدّ من البحث عنها خلال الأفكار الدينيّة الشرقيّة.

ويعتقد مؤرّخو الفلسفة أنّ أقدم الآثار الفلسفيّة الصرفة أو ذات الجانب الفلسفيّ الغالب تتعلّق بحكماء اليونان الذين عاشوا قبل الميلاد بستّة قرون. ويذكرون في هذا المجال أسماء علماء عاشوا في تلك الفترة وهم يحاولون معرفة

الوجود وبداية العالم ونهايته، وقد أعلنوا نظريّاتٍ مختلفةً وأحياناً متناقضةً لتفسير ظهور الموجودات وتحوّلها. وهم في نفس الوقت لايُخفون أنّ أفكار هؤلاء متأثّرة- بشكل قلّ أوكثر- بالعقائد الدينيّة والثقافات الشرقيّة.

وعلىٰ أيّ حال فإنّ المجال الحرّ الواسع للبحث والنقد في اليونان آنذاك قد هيّأ الأرضيّة لنضج الأفكار الفلسفيّة فتحوّلت تلك المنطقة إلىٰ موقع لتنمية الفلسفة.

ومن الطبيعيّ أنّ الأفكار البدائيّة لم تكن تتمتّع بالنظام والترتيب اللازمين، ولم يكن للمسائل المدروسة تبويبٌ دقيقٌ، فضلاً عن أن يكون لكلّ مجموعة من المسائل اسمٌ وعنوان خاصٌ أو أُسلوب للبحث معيّنٌ. وعلىٰ الإجمال فإنّ جميع الأفكاركانت تُسمّىٰ باسم العلم والحكمة والمعرفة وأمثالها.

ظهور السوفسطائيّة ومذهب الشك:

يُذكر في القرن الخامس قبل الميلاد علماء كان يطلق عليهم باللغة اليونانية اسم «سوفيست» أي الحكيم أو العالم، ولكن هؤلاء علىٰ الرغم من اطّلاعهم الواسع علىٰ معلومات زمانهم لم يكونوا معتقدين بالحقائق الثابتة وإنّما كانوا يعدّون الأشياء جميعاً غيرَ قابلة للمعرفة اليقينيّة.

ويَنقل مؤرّخو الفلسفة أنّهم كانوا يحترفون التعليم فيعلّمون فنَّ الخطابة والمناظرة ويُربّون المحامين للمحاكم حيث كانت سوق هذه الأمور رائجةً في تلك العصور. وهذه الحرفة تقتضي أن يتمكّن المحامي من إثبات أيّ دعوىٰ وردّ جميع مايخالفها. إنّ انتشار مثل هذه الألوان من التعليم المعجون بالمغالطة أوجد فيهم تدريجيّاً فكرةً مؤدّاها أنّه لاحقيقة علىٰ الإطلاق وراء فكر الإنسان!

لعلّكم سمعتم بقصّة ذلك الشخص الذي قال مازحاً: في بيت فلان توزّع

الحلوى مجّاناً، وعندما اتّجه نحو تلك الدار بعض البسطاء وازدحموا عليها، أخذ القائل شيئا فشيئاً يشكّ في الأمر، ومن ثمّ التحق بصفّ الواقفين لئلّا تفوته الحلوى المجّانيّة!

وكأنّ السوفسطائيّين قاموا بنفس الدور فبدأوا بتعليم الناس الأساليب القائمة على أساس المغالطة لإثبات الدعاوى وردّها، ثمّ شيئاً فشيئاً ترسّخ في أنفسهم هذا الاتجاه فأعلنوا أنّ الحقّ والباطل تابعان لتفكير الإنسان، وبالتالي فإنّه لا وجود للحقائق وراء الفكر الإنسانيّ!

أمّا كلمة «سوفيست» التي كانت بمعنى الحكيم والعالم فقد افرغت من معناها الأصيل عند ما أصبحت لقباً لهؤلاء وتحوّلت إلى رمز لإسلوب التفكير والاستدلال القائم على أساس المغالطة. وهذه الكلمة هي الأصل الذي أُخذت منه «السوفسطيّ» في اللغة العربيّة، ومنها أُخذت «السفسطة».

مرحلة ازدهار الفلسفة:

إنّ أشهر العلماء الذين وقفوا ضدّ السوفسطائيّين ونقدوا أفكارهم ومحّصوا آراءهم هو سقراط. فقد سمّى نفسه «فيلا سوفوس» أيّ محبّ العلم والحكمة، وهي نفس الكلمة التي تحوّلت في العربيّة إلى «فيلسوف» وأُخذت منها كلمة «الفلسفة».

يقول مؤرّخو الفلسفة: إنّ السبب في اختيار هذا الاسم شيئان: أحدهما تواضع سقراط حيث كان يعترف دائماً بجهله، والثاني تعريضه بالسوفسطائيّين الذين كانوا يَعدّون أنفسهم حكماء، أي انّه باختيار هذا اللقب أراد أن يوحي لهم بأنّكم لستم أهلاً لهذا الاسم «الحكيم» لأنّكم تستخدمون التعليم والتعلّم لأهداف ماديّة وسياسيّة، وحتّى أنا الذي استطعتُ ردّ تخيّلاتكم بأدلّة محكمة

لا أرىٰ نفسي أهلاً لهذا اللقب، وإنّما أُطلقُ علىٰ نفسي اسم «محبّ الحكمة».

وبعد سقراط نهض تلميذه أفلاطون- الذي حضر درسه سنين عديدةً- لتعميق أُسس الفلسفة، وجاء بعد ذلك تلميذه أرسطو الذي أوصل الفلسفة إلىٰ أوج ازدهارها، ودوّن قواعد التفكير والاستدلال، وأخرجها بصورة علم المنطق، وكتب مزالق التفكير بصورة قسم المغالطة.

ومنذ سمّىٰ سقراطُ نفسَه بالفيلسوف فإنّ كلمة الفلسفة تستعمل دائماً في مقابل السفسطة، فهي تشمل جميع العلوم الحقيقيّة كالفيزياء والكيمياء والطبّ والهيئةوالرياضيات والإلهيّات(١)،وتبقىٰ المعلومات التي يُتّفق عليها كالنحو والصرف خارجةً فقط عن حيّز الفلسفة.

وبناء علىٰ هذا فالفلسفة اسمٌ عامٌ لجميع العلوم الحقيقيّة، وكانوا يقسمونها إلىٰ قسمين رئيسيّين هما العلوم النظريّة والعلوم العمليّة، فالعلوم النظريّة تشمل الطبيعيّاتِ والرياضيّاتِ والإلهيّاتِ، والطبيعيّاتُ تشمل بدورها علمَ الفلك والمعادن والنبات والحيوان، وتتشعّب الرياضيّات إلىٰ الحساب والهندسة والهيئة والموسيقىٰ، وتنقسم الإلهيّات إلىٰ قسمين :ما بعد الطبيعة أوالبحوث العامّة للوجود، ومعرفة الله، والعلومُ العمليّة تتشعّب إلىٰ ثلاثة فروع هي: الأخلاق، وتدبير المنازل، وسياسة المُدن.

(١) ويُذكر أنّه لحدّ الآن توضع كتب الفيزياء و لكيمياءفي القسم المخصّص للفلسفة في كثير من مكتبات العالم المهمّة.

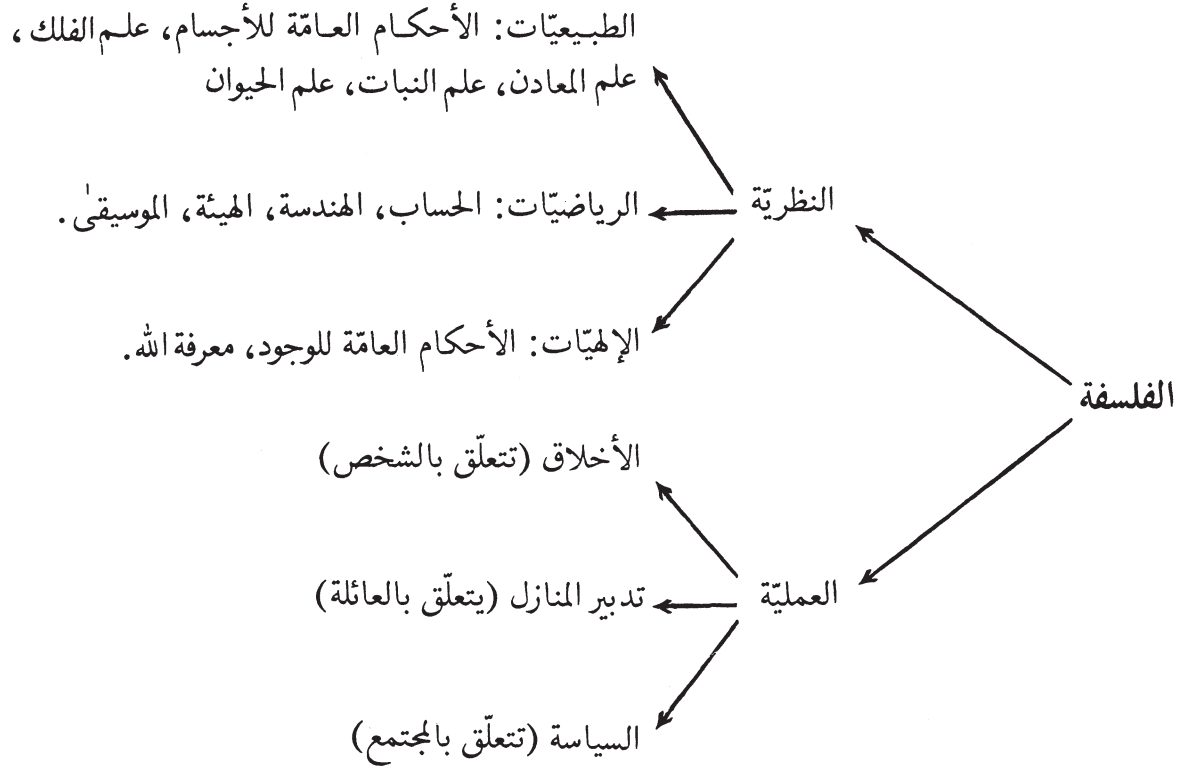
الفلسفة
النظريّة
الطبيعيّات: الأحكام العامّة للأجسام، علم الفلك، علم المعادن، علم النبات، علم الحيوان
الرياضيّات: الحساب، الهندسة، الهيئة، الموسيقىٰ.
الإلهيّات: الأحكام العامّة للوجود، معرفة الله.
العمليّة
الأخلاق (تتعلّق بالشخص)
تدبير المنازل (يتعلّق بالعائلة)
السياسة (تتعلّق بالمجتمع)

نهاية الفلسفة اليونانية:

وبعد أفلاطون وأرسطو مرّت فترةٌ انغمس فيها طلّابهما في جمع وتنظيم وشرح أقوال أساتذتهم، واحتفظوا إلى حدّ مابسوق الفلسفة رائجةً ،ولكنّه لم يستمرّ ذلك طويلاً حتّى تحوّل ذلك الرواج إلى كساد، وأصبحت بضاعة العلم والمعرفة لاتجد من يشتريها، فشدّ أرباب العلم والفنّ رحالهم إلى الإسكندريّة، واتّخذوها مكاناً للتعليم والتجارب، وظلّت هذه المدينة مركزاً للعلم والفلسفة حتّى القرن الرابع بعد الميلاد.

ولكنّه منذ آمن إمبراطور الروم بالمسيحيّة وأخذ يروّج عقائدالكنسية بعنوان أنّها آراء الدولة رسميّاً فإنّه ترك الباب مفتوحاً لمخالفة المراكز الفكريّة والعلميّة، وتدهور الوضع حتّى انتهى إلى إصدار إمبراطور الروم الشرقيّةِ «جستنيان» أمره في عام ٥٢٩م بإغلاق الجامعات وتعطيل المدارس في أثينا والإسكندريّة، ففرّ العلماء خوفاً على أرواحهم ولجأوا إلى مناطق أُخرى، وبذلك انطفأ مشعل العلم والفلسفة في ظلّ إمبراطوريّة الروم.

طلوع فجر الإسلام:

وفي نفس هذه الفترة (القرن السادس الميلاديّ) حدث في جانبٍ آخرَ من العالَم أعظمُ حدثٍ تاريخيّ فشهدت شبه الجزيرة العربيّة ولادةَ نبيّ الإسلام الأعظم صلى الله عليه وآله وسلّم ثمّ بعثته وهجرتَه، حيث حمل إلى العالمين رسالة الهداية الإلهيّة من قِبل الله سبحانه وتعالى، فدعا الناسَ في أوّل خطوة إلى تعلّم العلم والمعرفة، وكانت أُولى الآيات النازلة عليه:

«اقرأ باسم ربّك الذي خلق... الذي علّم بالقلم» (سورة العلق) ورفع منزلة القراءة والكتابة والتعلّم إلى ذروة رفيعة فأشاد بذلك الأساس لأعظم

حضارة وأنقىٰ ثقافة وأحيىٰ الرغبة في نفوس أتباعه لتعلّم العلم والحكمة (من المهد إلىٰ اللحد) وأن يحرصوا عليها (ولو بالصين)، وإن كلّفهم ذلك ثمناً باهضاً (ولو بسفك المهج وخوض اللجج).

إنّ فسيل الثقافة الإسلاميّة الذي غُرس بيد رسول الله (ص)قد نما وأزهر وأثمر بفضل أشعّة الوحي الإلهيّ وبغذاء من موادّ الثقافات الأُخرىٰ، وامتصّ الموادَ الخام من الأفكار الإنسانيّة بالمقاييس الإلهيّة الصحيحة وحوّلها في بوتقة النقد البنّاء إلىٰ عناصر نافعة، في فترة قصيرة جدّاً هيمنَ علىٰ جميع الثقافات العالميّة.

فالمسلمون توفّروا علىٰ ألوان العلوم نتيجةً لحثّ الرسول الأكرم(ص) وخلفائه المعصومين(ع)، فترجموا إلىٰ اللغة العربيّة ما خلّفه اليونانيّون والرومان والإيرانيّون من علوم، وتمثّلوا العناصر المفيدة منها، ثمّ أكملوها، وتمّت علىٰ أيديهم اكتشافات واختراعات كثيرة في عدد من العلوم كالجبر والمثلّثات والهيئة والمناظر والمرايا والفيزياء والكيمياء.

والعامل الآخر الذي ساهمَ في نموّ الثقافة الإسلاميّة كان عاملاً سياسيّاً: فالأجهزة الحكوميّة الظالمة لبني أُميّة وبني العبّاس التي احتلّت بغير حقّ مسندَ الحكومة الإسلاميّة كانت تشعر بالحاجة الشديدة إلىٰ قاعدة شعبيّة بين المسلمين، ومع وجود أهل بيت النبي (صلوات الله عليهم أجمعين) وهم أولياء الناس بالحق بين ظهرانيهم وهم معدن العلم وخزّان وحي الله فقد أشاحت الأنظمة الحاكمة بوجهها عنهم وأخذت تجذب الأفراد بالتهديد والتطميع، وحاول اكثرهم أن يزيّن بلاطه بمجموعة من العلماء وأصحاب الرأي مزوّدين بعلوم اليونانيّين والرومانيّين والإيرانيّين لعلّهم يستطيعون إغناء الناس عن الرجوع إلىٰ أئمّة أهل البيت(ع).

وبهذه الصورة اقتحمت الأفكار الفلسفيّة المتنوّعة وألوان العلوم والفنون